خطبة صلاة الجمعة 11/ 6/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(تحسين اللفظ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثامنة عشرة في سلسلة عنوانها **(توعية)**، أعرض لكم في السلسلة صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **تحسين اللفظ**

تعلمون -أيها الإخوة- أنّ للكلمة أثراً كبيراً في تعامل الناس مع بعضهم سواء في العلاقات الأسرية أو المعاملات المالية أو الصلات الاجتماعية وحتى العلاقات الدولية، بل يرقى المرء بالكلمة في الجنان أو يهوي بها -والعياذ بالله- في النيران، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن العبد ليتكلّم بالكلمة مِنْ رضوان الله لا يُلْقي لها بالاً، يرفعه الله بها في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَط الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم**» وفي رواية الترمذي «**إنَّ الرجلَ ليتكلَّم بالكلمة لا يرى بها بأساً يَهْوي بها سبعين خريفاً في النار**».

لذلك اعتنى الأكابر والعلماء والفضلاء بتحسين اللفظ، وطيب الكلمة، ولطافة أسلوب الخطاب.

وأصل هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: 53].

فالعاقل الواعي يتدبّر ثم يتكلّم ويتخيّر من اللفظ أحسنه، فرُبّ حرب أشعلتْها لفظة، ورُبَّ غنيمة جاءتْكَ بلحظة.

ومما يحكى في هذا الباب أن بعض الخلفاء سأل ولده وفي يده مسواك، ما جمع هذا يا غلام؟ فقال الغلام: "محاسنك" يا أمير المؤمنين، وكره الفتى أن يقول "مساويك".

ومنه أن سيدنا عمر رضي الله عنه خرج يعسُّ في الليل، فرأى ناراً موقدة في خباء فوقف وقال: يا أهل الضوء، وكره أن يقول يا أهل النار.

وسأل عمر رجلاً عن شيء هل كان؟ فقال الرجل: لا، أطال الله بقاءك، فقال عمر: قد عُلِّمْتُم فلم تتعلموا، هلا قلت: لا وأطال الله بقاءك.

وسئل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا يقولَنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفسي**» وخبثت ولَقِسَت وغثت متقاربة المعنى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره لفظ الخبث لبشاعته وأرشدهم إلى العدول إلى لفظٍ هو أحسن منه وإن كان بمعناه تعليماً للأدب في المنطق وإرشاداً إلى استعمال الحسن وهجر القبيح من الأقوال.

أيها الأخ الكريم، أيتها الأخت الفاضلة:

اختيار اللفظ المناسب واللّباقةُ في الحديث والكلمةُ الطيبة تجد طريقها بسهولة إلى القلوب، وينال صاحبُها اهتمامَ السامعين ومحبتهم.

وما طيبُ الكلام وتحسينُ اللفظ إلا دليلٌ على رجاحة العقل وصفاء القلب وشرف النفس.

فصاحب النفس الشريفة لا تضيق عليه الألفاظ والأساليب فيلجأ إلى القول السيء، بل لديه معجم رحب من الكلمات النظيفة والألفاظ الراقية التي يستطيع بها أن يصل بها إلى مراده الحسن دون اللجوء إلى الكلمات الجارحة.

زنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنّما يُبدي عقولَ ذوي العقولِ المنطقُ

مرَّ يهوديٌّ بإبراهيم بن أدهم رحمه الله، فأراد أن يستفزه، فقال له: يا إبراهيم، ألحيتُك أطهر من ذنب الكلب، أم ذنب الكلب أطهر من لحيتك؟! فقال إبراهيم: إن كانت في الجنة فهي أطهر من ذنب الكلب، وإن كانت في النار فذنب الكلب أطهر منها، فلما سمع اليهودي الجواب أطرق خجِلاً واعتذر إلى إبراهيم وانصرف.

وتذكر كتب التراجم أنه كان بين علي بن الحسين رحمه الله وبين رجل شيء من الجفاء، فجاء الرجل يوماً وعلي بن الحسين جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئاً إلا قاله له، وعليّ ساكت، فلما كان الليل، أتى علي بن الحسين دار الرجل فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له: يا أخي، إن كنتَ صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك، ثم ولى، فما كان من الرجل إلا أن تبعه والتزمه وقال: لا جرم لا عدتُ في أمر تكرهه... فقال له علي: وأنت في حل مما قلت لي.

أيها الأخوة:

نحن بحاجة إلى تحسين اللفظ مع الوالدين؛ لأن لهما حقاً في حسن الخطاب وإحساساً مرهفاً في التأثر به، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23].

نحن بحاجة إلى تحسين اللفظ بين الزوجين، ورقةً في كلماتهما، بدل التراشق بالألفاظ الجارحة، والكلمات النابية التي قد توصل إلى ما لا تحمد عقباه.

نحن بحاجة إلى تحسين اللفظ بين الإخوة والأخوات والأقارب والأرحام؛ لأن الكلمة الطيبة صدقة.

نحن بحاجة إلى تحسين اللفظ بين الجيران وفي الأسواق والوظائف وأماكن العمل.

نحن بحاجة إلى تحسين اللفظ بين المدير وموظفيه، والمعلم وتلاميذه، وبين السائقين والراكبين، وبين الباعة والمشترين.

ذلك لأن الكلمة الطيبة توحّد الصفوف وتجمع الشمل، وتؤلف القلوب، وتذهب أحقاد الصدور، وتقرب بين الأباعد، وتحبب بين المتباغضين، وتعين على إصلاح ذات البين.

بينما تزرع الكلمة الخبيثة الإحن وتثير الضغن وتقوي الفتن، وهي شرارة نار ربما ولدت حريقاً عظيماً.

قال لقمان لابنه: "يا بني، إن من الكلام ما هو أشد من الحجر، وأنفذ من الإبر، وأمرّ من الصبر، وأحرّ من الجمر، وإن من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها".

بل إن الإسلام – أيها الإخوة- يدعونا إلى تحسين اللفظ مع الكافر، قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 43، 44].

ودعا إلى تحسين اللفظ مع الحيوان، فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي صلى الله عليه وسلم وتضايق بهم الجبل فقالت: حَلْ حَلْ، اللهم العنها، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»** [رواه مسلم].

ودعا إلى تحسين اللفظ مع الجماد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن رجلاً لعنَ الريح – وفي رواية: إن رجلاً نازعتهُ الريح رداءه على عهدِ رسولِ الله فلعنها، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تلعنها، فإنها مأمورة مُسخَّرَة، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعَت عليه»** [أبو داود والترمذي].

ختاما أيها الإخوة:

يتدرب المرء على تحسين اللفظ بأربعة: بالتربية الأسرية الراقية، والصحبة الصالحة، والقدوة الحسنة، ومطالعة آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكتب الأدب والحكمة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: 24 - 27].

أخرج البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اتقوا النَّار ولو بِشِقّ تَمْرَةٍ، فإن لم تَجِدُوا فَبِكَلَمةٍ طيبة»

والحمد لله رب العالمين